تأثير الامام الخميني (ره) على الاتجاه الديني في عالمنا المعاصر

بقلم : علي رضا محمدي

مما لاشك فيه ان اسم الامام الخميني امتزج مع التاريخ المعاصر للعالم فهو بلاشك رجل القرن و محيي التراث الاسلامي العظيم في زمننا الراهن. اذ نلاحظ انه رغم سيطرة و هيمنة الثقافة الغربية و انبهار عدد كبير من البشرية بظواهرها الزاهية و البراقة فتح طريق جديد امام انسان اليوم واسس مدرسة اصيلة لاحياء القيم و المبادئ الاسلامية في عالمنا اليوم .

و هذا المقال يتولى دراسة اهم تأثيرات ثورة سماحة الامام على عالم الغرب و مفهوم الغرب في هذا المقال لايعني المساحة الجغرافية للغرب و انما يشمل اوسع من ذلك حيث يتم التأكيد اكثر على الابعاد الثقافية و الحضارية التي حدثت في المحيط الجغرافي الغربي خاصة بعد النهضة الجديدة. وعلى هذا الاساس يعني الغرب في هذا المقال الفكر الدنيوي العلماني التجربي الذي يتميز بفرض الهيمنة المادية و الاستثمار المادي الذي تمتد جذوره ليس في ظاهر الغرب و انما في جميع الاهواء والرغبات النفسية للانسان و انانيته و حبه لنفسه فقط.

١- **الاتجاه الى المعنوية احياء الدين و التدين** : ان الانتشار السريع للافكار الالحادية و الابتعاد عن الله عزوجل و اتجاه بعض بلدان العالم الى النظام الغربي السياسي العلماني ، قد جعل الكثير من المفكرين يصدقون بأن الانزواء والانهيار والفشل الكامل سيكون المصير المحتوم للاديان الالهية . الا ان نهضة الامام الخميني و نجاح و انتصار الثورة الاسلامية بقيادته لم تستطع فقط تغيير الخطاب الديني في ايران و انما خلقت ظروف تشير الى دخول العالم في مرحلة تختلف عن المراحل الماضية و في عصر يمتاز بخصوصيته الدينية و المعنوية الممتازة .

و من وجهة نظر الكثير من الكتاب و الخبراء المحللين ان تجديد الحياة المعنوية و الدينية للبشرية قد بدأت بانتصار الثورة الاسلامية في ايران و من هنا ينبغي اعتبار عقد الثمانينات من القرن الماضي اول عقد لهذا التجديد.من هذه الزاوية اذا اردنا ان نحدد تاريخاً لاحياء الهوية الدينية فان هذا التاريخ سيكون عام ١٩٧٩ م يعني تزامنا مع انتصار الثورة الاسلامية في ايران التي اوجدت حركة عظيمة و قفزة كبيرة في الفكر الديني لجميع الاديان . فآخر الاحصائيات التي تم اجراءها حول احياء الفكر الديني في عام ١٩٩٠ تشير الى ان ٧٠ % من سكان اوروبا يشعرون بالتدين. كما نلاحظ ان في جميع الاديان من الهندوسية و حتى البوذية و انواع الفرق المسيحية تحكي عن نوع من العودة الى الفكر الديني وان الثور الاسلامية الايرانية أدت الى احياء الفكر الديني في العالم . فشخصية الامام و نداءاته ورسائله المعنوية قد تركت تأثيراً كبيراً على اتباع بقية الاديان و المذاهب، و حتى ان بعض العلماء و المفكرين المسيحيين وصفوه بانه كان (مسيح العصر) و كان نموذجاً لصلابة و عدم مساومةعيسى بن مريم عليه السلام . و من وجهة نظر مجلة (اوبزرفر) الاسبوعية (ان الامام الخميني كان رجلاً كبيراً دعى الناس مثل الانبياء القدماء لاتباع المبادئ الدينية . وكانت دعوته و رسالته للناس تبين اخلاصه في العقيدة و انتهاج الحياة البسيطة ازاء تعقيدات و مكونات الغرب و هذا هو سر نجاحه و سر شعور اتباعه بالفخر) .

كما أن شبكة تلفاز بي بي سي ابدت و جهة نظرها في هذا المجال و قالت: (ان ماحدث في ايران عام ١٩٧٩ كان نقطة عطف ليس للايرانيين فحسب و انما لجميع الاديان السماوية في العالم ، نقطة عطف تحكي عن عودة الملايين من البشرية في جميع انحاء العالم الى العقيدة و المبادئ الدينية و حسب تعبير هذه الشبكة :(في انحاء العالم التجأ بقية اتباع الاديان مثل المسيحية و اليهودية و الهندوسية ايضاً الى العقيدة و

المبادئ المذهبية ، و حتى في تركيا ايضاً التي كانت قد دخلت قبل ٧٠ عاماً في حرب ضد الدين نلاحظ ان عملية العودة الى الدين اخذت تزداد فيها بسرعة .

وفي هذا المجال يشير اية الله مصباح اليزدي في معرض اشارته الى موضوع محاربة الدين و الاتجاه الالحادي في اوروبا و الغرب خلال القرون الاخيرة و الذي امتد الى بعض البلدان الاسلامية مثل ايران في زمن الحكم البهلوي قائلاً : (ان اهم انجازات حركة الامام الخميني كانت احياء الدين و التدين في العالم بحيث ان بركة هذه الحركة لم تشمل اتباع الدين الاسلامي فقط و انما ادت الى عودة الحياة للاديان الاخرى مثل المسيحية ايضاً و بالتالي ازداد الاتجاه الى الدين و التدين بين جميع الشعوب الاخرى ايضاً).

كما اشار اية الله مصباح اليزدي ايضا الى تصريح بطريرك مسيحي من المكسيك عندما التقى به حيث قال البطريرك : (ان هذا الفخر خاص بكم حيث استطعتم ان تحيوا الايمان في العالم و الافضل من ذلك قد مزجتم بين موضوع ادارة البلد و التدين فنحن المسيحيون لانستطيع ان نحفظ الايمان بين الناس و ذلك لان الناس قد فقدوا ثقتهم بنا والاسوء من ذلك لم نتمكن من المزج بين التدين و ادارة البلد. كمل تحدث بعض المسيحيون عن مدى تأثرهم العميق بمكانة و عظمة و صبر و حلم الامام الخميني في اول لقاء لهم بالامام . و حسب تعبير ميشيل فوكو عالم مابعد الحداثة الفرنسى : (ان الامام الخميني منادي المعنوية و الروح الجديدة لعالم قد فقد معنويته و روحه في عصرنا الحاضر) .

٢- الاجماع بين المعنوية و الحكم : في القرون الجديدة و ما قبل انتصار الثورة العظيمة للامام الخميني كان امكانية الاجماع بين المعنوية و الحكم في الشرق و الغرب اسطورة و امراً مستحيلاً . و مثل هذه العقيدة و هذا الفكر كان مهيمناً ليس على الرأي العام فحسب بل كانت جميع النصوص الاكاديمية و الجامعية في مجال السياسة متفقة على ذلك . بحيث ان (برنارد واندوبل) صاحب اسطورة خلية النحل في الغرب الذي يعتبر من اوائل و طلائع تيار الحداثة الغربية يقول : (ان الاخلاق منفصلة عن الحكم و هاتين المقولتين لاتتلائم مع بعضها ابداً و لايمكن ادارة المجتمع و الحكومة بمايطرح في موضوع الاخلاق باسم الفضيلة الخلقية). كما يصرح بانه اذا كان من المقرر ان يكون جميع الناس من اهل الزهد و التوكل و الايثار و الشجاعة فلا يعد بالامكان بناء نظام اجتماعي و تشكيل حكومة . فالمجتمع خلافا لهذه القيم وانه ينبى على مايطلق عليه اسم الرذيلة). و في الواقع ان التقدم و التنمية و الاعمار و رفاه المجتمع يحصل عندما لايكون الناس من اهل الكرم و الانفاق و التضحية ، و انما بالعكس يحصل عندما يكون الناس من اهل الطمع و الحسد و الانانية و عدم القناعة بالقليل . ففي مثل هذه الظروف يمكن ان يعيش الانسان اجتماعياً. كما ان الفلسفة السياسية الحديثة ايضاً ترتكز على هذه الفرضية ايضاً وعلى اساس ذلك تشكلت ثلاثة مذاهب و هي الماركسية و الليبرالية و الفاشية كنتيجة للحداثة الغربية في القرن الماضي و فرضت سيطرتها الخبيثة على العالم . و قاموا بالتنظير لاكثر الحروب دموية في تاريخ البشرية باعتبارها مكاتب لتوجيه الحروب و سفك الدماء .

الا أن الامام الخميني اربك هذه المعادلة و الموازنة و غيرها وفي الحقيقة تحدى الغرب و الحياة الغربية ذات الاتجاه الاحادي من خلال طرحه مشروع الحياة المعنوية و الباطنية للبشرية و تقديم نموذج دقيق و فاعل باسم الجمهورية الاسلامية و أعلن بان الاجواء الالحادية و غير المعنوية للغرب لايمكن ان تستمر للأبد، و ان الانسان الغربي سيتعب يوماً من الحياة في الاجواء المادية و انه سيضطر لامناص بالاتجاه الى المعنوية، و الحقيقة ان الانسان اليوم يتجه نحو انهاء فترة انفصال المادية عن المعنوية ،المادية التي اوصلت الانسان الى نفق مسدود ، و الان حان زمن تعتبر فيه النشاطات المادية استعداداً لرقي تسامي الانسان معنوياً و نفس هذا الفكرة ستعيد اليوم او غداً البشرية الى الدين . فالاسلام دين يتمكن من خلال تنظيم النشاطات المادية ان يفتح المجال للرقي المعنوي للانسان .

تأسيساً على ذلك لم تعد العلمانية اليوم كنظرية غير مرغوبة فسحب و انما يعتقد اصحاب النظريات في الغرب ان ما يهدد الثقافة الغربية هي العلمانية بذاتها . و قد اعترف بريجسنكي بذلك حيث قال : (ان العلمانية اللادينية السائدة على انحاء الغرب ، تربي في داخلها دمار الثقافة الغربية و بالتالي فان ما يعرض قوة اميركا العظمى الى الزوال هي نفس هذه العلمانية اللادينية .و يعتبر السبيل الوحيد للتخلص من هذه الازمة هو احياء عنصر الدين) .

٣- مواجهة الافكار و الايديولوحيات السائدة و تغير النظام الدولي .

ان التأثير العميق لافكار الامام لم تكن محدودة قي البعد النظري و الفكري، و انما تركت تأثيرها على الصعيد العملي ايضاً و تمكنت من تغيير التوازن الموجود في النظام الدولي و تحدي المتطلبات السائدة على النظام الدولي بحيث ان هنري كسينجر مستشار الرئيس الاميركي في عقد السبعينات يعترف ويقول : (ان اية الله الخميني جعل الغرب يواجة أزمة حقيقية في مجال التخطيط، و كانت قراراته صاعقة الى درجة سلبت اي نوع من الفكر و التخطيط السياسي من السياسين و المنظرين للسياسة . و لم يكن احد يستطيع ان يتكهن ماهي القرارات التي يتخدها ، اذ كان يتحدث و يعمل بمعايير اخرى غير المعايير المعروفة في العالم . و يبدو كأنه يوحي اليه من مكان اخر، و ان عداء اية الله الخميني مع الغرب ناجم عن تعاليمه الالهية و حتى انه كان خالص النية في عداءه ايضاً).

و تكتب صحيفة تايمز اللندنية في وصف سماحة الامام : (ان الامام الخميني كان رجل سحر الشعوب بكلامه ، فقد كان يتكلم بلغة عامة الناس و كان يزرع الثقة في قلوب مؤيديه الفقراء و المحرومين . و هذا الشعور جعلهم قادرون على ازالة كل من يقف في طريقهم ، و قد برهن للناس بانه حتى يمكن الوقوف امام قوى مثل اميركا دون الشعور بأي خوف) . كما تمكن الامام من نقل جرأة توجيه النقد و الوقوف يوجه القوى العظمى . الى بقية قادة العالم و شعوب البلدان و ينتقدوا اداء النظام الدولي . كما ان هزيمة و فشل القوى العظمى و خاصة اميركا في ادارة التطورات في ايران قد برهن لجميع الشعوب بان قدرتهم و قوتهم كبيرة جداً يمكن الاعتماد عليها.

و كانت رسالة الامام الخميني الى غورباتشوف في الواقع نقد على التغيرات الطموحة و الحصرية للحداثة مع وجود فروق بين اليمين و اليسار حيث انهم كانوا يظنون بأنه لايمكن ان يحدث أي تطور في العالم و أي تغيير علمي او اجتماعي او شعبي الا على اساس المعايير الغربية ، فالامام في هذه الرسالة يبين آفاق تغيير المفاهيم في العالم و الادوار في المستقبل القريب و هي:١- انهيار الماركسية و الشيوعية و ذهاب هذه الرؤية الى متاحف التاريخ . ٢- تنامي العقيدة بالله عزوجل و التدين بين الشعوب العالم.٣-تحرر الثوار في العالم من الحصار الحديدي للتغيرات الماركسية و النظريات الثورية اليسارية.٤-فراغ يوتوبيا الرأسمالية الغربية.٥- ضرورة اعادة النظر في ادراك بعض المفاهيم مثل : الله ، الدين ، الحديقة الخضراء لعالم الغرب ، الانحطاط و النفق المسدود ، مبدأ الوجود و الخلق ، سجون الغرب والشيطان الاكبر ، التخيلات الماركسية ، المعقول و المحسوس ، الرقي و التطور ، الانسان و الحيوان ، الفراغ العقائدى ، النظام العالمي و .. .

الحقيقة هو ان الاتجاهات الدينية التي هي على وشك الظهور اليوم في المجتمعات الحديثة هي بادرة مفعمة بالامل تبشر بنوع من الوعي و الادراك لدى شعوب هذه البلدان و مما لاشك فيه ان الاجتماع العظيم للسود في الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٩٩٥ في واشنطن و انطلاق صوت و صرخة الله اكبر بقوة امام البيت الابيض (مقر الرئاسة الاميركية) تعتبر دليل مبارك على نهضة معنوية و اخلاقية في قلب اخدى المجتمعات الحديثة .

٤- النهضات الاسلامية و حركات التحرير المعاصرة :

ان حياة الحركات و النهضات الاسلامية المعاصرة مدينة للثورة الاسلامية بقيادة بقيادة سماحة الامام (ره) و ذلك لان ثورة سماحة الامام (ره) وهبت حياة جديدة للاسلام و المسلمين و انقذتهم من العزلة و الذل، وبرهنت عجز الماركسية و الليبرالية و القومية في ادارة و هداية المسلمين ، و طرحت الاسلام بعنوان الحل الوحيد للحياة السياسية للمسلمين .

و يصرح سماحة قائد الثورة في هذا المجال : (رغم مرور اكثر من ١٥٠ عاماً من التخطيط الحديث و الشامل ضد الاسلام ، قد حدث اليوم حركة اسلامية عظيمة في جميع انحاء العالم، حيث ان الاسلام استعاد حياته من جديد في افريقيا و آسيا و حتى في قلب اوروبا و ادرك المسلمين شخصيتهم و هويتهم الحقيقية .

يعتقد الامام الخميني(ره) ان الغرب يحاول فرض سيطرته الثقافية على الشرق و هذه السيطرة ستؤدي بلاشك الى انهيار النظام الثقافي للمجتمع الشرقي . و برأيه ان اصلاح المجتمع ينبغي ان يبدأ من الاصلاح الثقافي لذلك المجتمع . واسلوب الاصلاح الثقافي الذي قذمه الامام لعالم اليوم هو في الحقيقة انموذج و قدوة من التطور الثقافي في ظل الالتزام الثقافي . من هنا ان الجدال المنطقي للامام الخميني (ره) ضد الغرب كان يرتكز دائماً في مسير خاص يؤكد على حفظ و صيانة الاستقلال الثقافي . ومن وجهة نظر الامام ان مكافحة الثقافة الغربية الى جانب التطور الثقافي في اطار الثقافة الشرقية ينبغي ان يؤدي الى الاستقلال الثقافي . حيث يقول سماحته : (في النهاية ينبغي ان تتغير الثقافة و ان تتبدل الى ثقافة سالمة و الى ثقافة مستقلة و ثقافة انسانية). فالثورة الاسلامية من جهة أدت الى اتجاه شعوب العالم الى الدين و رقي الاتجاهات المعنوية و تضعيف الافكار المادية ، كما أدت من جهة أخرى الى تبدلها الى قدوة لنضال الشعوب المظلومة في مختلف انحاء العالم .

الاستنتاج

ان ثورة الامام (ره) قد تركت تأثير وتطورات كبيرة ومذهلة على العالم الغربي من الناحية النظرية والعملية والتطلعية. و كما تفضل سماحة القائد المعظم بأن الامام (ره) مبشر العهود الجديدة لتاريخ الحياة البشرية بحيث ان المطالب المعنوية للبشر والاتجاه الديني و المذهبي للانسان سيظهر جلياً اكثر من العهود الماضية و القرون العديدة الاخيرة . طبعاً: ان الامام الخميني لم يكن نبياً جديداً ، لكنه كان من المذكرين و من المخاطبين بكلمة (أنت مذكر) الذين ذكّروا الناس بعهدهم و ميثافهم الفطري مع الله عزوجل . ..وبعد مرور عدة قرون من هبوط البشرية بصورة عامة قام مثل اسلافه من ابراهيم و اسماعيل ببداية عصر جديد من التدين بعد اجتياز مرحلة من الجاهلية .من هنا يجب ان نطلق على هذا العصرالجديد عصرالامام الخميني (ره) و أن تكون هذه الفترة من عصر الامام الخميني عصر الاسلام و عصر تفوق القيم الالهية و المعنوية فهذه الفترة و هذا العصر هو عصر الامام الخميني و سيرى شبابنا ان شاء الله هذا المستقبل .

سوتيتر :

- من وجهة نظر الكثير من الكتاب و الخبراء المحللين ان تجديد الحياة المعنوية و الدينية للبشرية قد بدأت بانتصار الثورة الاسلامية في ايران و من هنا ينبغي اعتبار عقد الثمانينات من القرن الماضي اول عقد لهذا التجديد
- مجلة اوبزرفر الفرنسية : ان الامام الخميني كان رجلاً كبيراً دعى الناس مثل الانبياء القدماء لاتباع المبادئ الدينية . وكانت دعوته و رسالته للناس تبين اخلاصه في العقيدة و انتهاج الحياة البسيطة ازاء تعقيدات و مكونات الغرب و هذا هو سر نجاحه و سر شعور اتباعه بالفخر) .
- شبكة تلفاز بي بي سي : (ان ماحدث في ايران عام ١٩٧٩ كان نقطة عطف ليس للايرانيين فحسب و انما لجميع الاديان السماوية في العالم ، نقطة عطف تحكي عن عودة الملايين من البشرية في جميع انحاء العالم الى العقيدة و المبادئ الدينية
- اية الله مصباح اليزدي : ان اهم انجازات حركة الامام الخميني كانت احياء الدين و التدين في العالم بحيث ان بركة هذه الحركة لم تشمل اتباع الدين الاسلامي فقط و انما ادت الى عودة الحياة للاديان الاخرى مثل المسيحية ايضاً و بالتالي ازداد الاتجاه الى الدين و التدين بين جميع الشعوب الاخرى ايضاً).
- ميشيل فوكو : ان الامام الخميني منادي المعنوية و الروح الجديدة لعالم قد فقد معنويته و روحه في عصرنا الحاضر).
- هنري كسينجر : (ان اية الله الخميني جعل الغرب يواجة أزمة حقيقية في مجال التخطيط، و كانت قراراته صاعقة الى درجة سلبت اي نوع من الفكر و التخطيط السياسي من السياسين و المنظرين للسياسة . و لم يكن احد يستطيع ان يتكهن ماهي القرارات التي يتخدها ، اذ كان يتحدث و يعمل بمعايير اخرى غير المعايير المعروفة في العالم . و يبدو كأنه يوحي اليه من مكان اخر، و ان عداء اية الله الخميني مع الغرب ناجم عن تعاليمه الالهية و حتى انه كان خالص النية في عداءه ايضاً).
- صحيفة تايمز اللندنية : (ان الامام الخميني كان رجل سحر الشعوب بكلامه ، فقد كان يتكلم بلغة عامة الناس و كان يزرع الثقة في قلوب مؤيديه الفقراء و المحرومين . و هذا الشعور جعلهم قادرون على ازالة كل من يقف في طريقهم